

ثورية المرأة الجزائرية بين واقع التجربة والأقلام الشعرية

Title in English : Revolutionary Algerian women between the reality of experience and poetic pens.

د. مريم عزي¹*

¹ جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب (الجزائر)

البريد الإلكتروني : meriem.azzi@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ الاستلام 2025-09-10 تاريخ القبول: 2025-10-28 تاريخ النشر: 2025-12-14

ملخص البحث

يُعالج المقال تسجيل إسهامات المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية ضمن سجل الخالدات على المستوى التاريخي والإبداعي؛ حيث كانت لها لمستان: لمسة دَوَّها التاريخ حين حققت النصر والإستقلال، وأخرى حفظها الشعر العربي الحديث والمعاصر حين إستطاعت تحويل أفلام شعرائه من الإهتمام بشكلها الأنثوي إلى عطاءاتها الثورية، فلم تعد المرأة المعشوقة فقط الجديرة بالذكرِ شعراً، بل أصبحت المرأة الثورية الأجدد بذلك، ما جعل القصيدة العربية المعاصرة تجمع بين الأنثى والمرأة بخيطٍ رفيعٍ دون أدنى خلل بين المصطلحين؛ فإذا كان الإحتفاء بالأولى منبعه المحبة، فإنَّ الإحتفاء بالثانية مصدره الفخر والإعتزاز.

وعليه يسعى المقال إلى المقارنة بين واقع التجربة ولمسة الشعر العربي في نقل كفاح المرأة الجزائرية مُسلِّطاً الضوء على نماذج شعرية مختارة لشعراء من العراق ومصر تأثروا بجهادها فعملوا على تكريمها وتخليد ذكرها والتغني بآثارها، لأنها إستطاعت بإرادتها قهر أقوى الدول المستعمرة.

كلمات مفتاحية: الثورة الجزائرية ، المرأة الثورية ، الكفاح ، الشعر العربي ، الشاعر العربي .

Abstract:

The article deals with recording the contributions of Algerian women to the liberation revolution within the record of immortals on the historical and creative levels. She had two touches: a touch that history has overlooked when she achieved victory and independence, and another that was preserved by modern and contemporary Arab poetry when she was able to transform the films of its poets

* المؤلف المرسل: د. مريم عزي

from interest in her feminine form to her revolutionary contributions. The beloved woman was no longer the only one worthy of mention in poetry, but she became the revolutionary woman most worthy of that, which made Contemporary Arabic poetry combines female and woman with a thin thread, without the slightest defect between the two terms. If the celebration of the first comes from love, then the celebration of the second comes from pride.

Accordingly, the article seeks to compare the reality of experience and the touch of Arabic poetry in conveying the struggle of Algerian women, highlighting selected poetic examples by poets from Iraq and Egypt who were influenced by her struggle and worked to honor her. And immortalize her memory and sing of her exploits, because she was able, with her will, to conquer the most powerful colonial countries.

Keywords: Algerian revolution; revolutionary women; struggle; Arab poetry; Arab poet;.

1. مقدمة:

يكشف مُتفحّص النصوص الشعرية أنّها ترتشف من ينابيع الماضي لتخترق أفق المستقبل، فتتكئ على الكائن لتكتب الممكن والمشتهى في الذات القارئة لها، فيخضع النص المتخيّل لتجاذبات الواقع تارة واللمسة الأدبية تارة أخرى؛ ما يجعل الأدب عامة والشعر خاصة مهوسا بتسجيل كلّ ما يراه ممكنا .

ولأنّ الالتزام أوجب على الشاعر العربي في العصر الحديث معايشة الراحن لصوغ تجربته الشعرية المواكبة للأحداث؛ سحرّ هذا الأخير قلمه نصرة للقضية الجزائرية، فكيف كانت هذه المتابعة والمواكبة؟ وما الكيفية التي صاغ بها نصوصه الشعرية ليعبر عن التزامه؟ وهل استطاع ملامسة مرارة التجربة بنصه الشعري؟

أسئلة تستوجب الغوص في النصوص الشعرية التي خلّدت المآثر، فصوّرت المرعب المرتكب من قبل المحتلّ الغاشم، كما أظهرت حيثيات المقاومة ومعالم الاستبسال فتجاوزت حسب ما قاله محمد بشير بويجزة المؤرخ للكشف عمّا سكت عنه¹ ومن ثَمَّ نسجت

النصوص الشعرية خيطا رفيعا يربط بين ما هو شعري وما هو تاريخي في قصائد حرّكها الشعور المآزر من جهة والمُفتخر والمُعترّ من جهة أخرى .

2. الثورة الجزائرية في المعجم الشعري العربي:

ظلت الثورة الجزائرية - على مرّ السنين - منبع فخر كل جزائري وقدوة كل من يعاني ويلات الإستعمار ويسعى جاهدا من أجل التخلّص منه؛ ما جعلها ملهمة المبدعين داخل الوطن وخارجه؛ إذ تعامل الشعراء العرب مع الثورة الجزائرية كونها تؤكد أنّ الأمة العربية لم تنته كما كان يصوّر ذلك أعداؤها، فهي تعبّر عن عشق العربي الشديد للحرية وصلابته في النضال بغية الظفر بها لتحقيق المعجزات ممكن مع القيادة المخلصة الحكيمة²

فإنّخذوا منها رمزا يشحذ الهمم ويبعث الأمل في النفوس؛ ما أدى إلى ظهور مؤلفات كثيرة ومسرحيات وأفلام تروي كفاح شعب عان الويلات لكنه إستطاع إقتطاع الحرية رغم سنوات طويلة قضائها تحت وطأة الإحتلال:

حَيِّ الْجَزَائِرَ حَيَّهَا حَيِّ الرُّجُولَةَ وَالْبُطُولَةَ
حَيِّ الْمَكَارِمَ وَالْحِجَى وَالْعَزَمَ وَالشِّيمَ النَّيْلَةَ³

على هذا الأساس نالت الثورة الجزائرية دعما جماهيريا (شعبا وحكومة) من قبل الدول الشقيقة والصديقة؛ حسب ما أكّده حسن فتح الباب في كتابه ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر حيث كانت مصر في طليعة الداعمين كونها فتحت لها وسائل الإعلام عبر إذاعة صوت العرب، كما إهتم بها الشعراء والكتاب وواكبوا إندلاعها وأخبارها وإنجازاتها؛ إهتمام أدى إلى تعدّد طرق التعبير بتعدّد الموضوعات والمجالات.

ولئن كان إهتمام هذا المقال بالشعر ودوره في نقل الصورة الثورية في الجزائر دون غيره من الأعمال الإبداعية، فهذا لأنّ الشعراء أقدر الناس على تقريب الفكرة إلى المتلقي ضمن صورة فنية

تحاك بجودة عالية، فتجعل القارئ مسافرا لا يعرف عند أي محطة يحطّ الرحال، لاسيما إذا فُعل دور الكلمة لدعم الثورة، فزخرت الصحف والمجلات في ذلك الزمن بمقالات وقصائد تعرب عن التغيي والتمجيد⁴ كما تجدر الإشارة إلى أنّه تمّ اعتماد المدوّنة العربية مُثله في الموسوعتين الشعريتين الجامعتين للشعر الذي قيل في الثورة الجزائرية من قبل الشعراء العراقيين والمصريين من باب الحصر لا الإقصاء.

فهذا **عبد الوهاب البياتي - الشاعر العراقي** - يرسم بالكلمات بطولات شهيد من شهداء الجزائر الذي رغم الأسر إلا أنّه ظل شامخا شموخ جبال بلاده ألا وهو **العربي بن مهدي**⁵ فيقترّ ضمن قصيدته **الموت في الظهيرة** بأربع حقائق أولها: تضامنه مع شقيقه الجزائري فهو يتألم مثله رغم أنّه حر طليق لقوله **كان مثلي يتألم**، وثانيها صمود البطل الشهيد وكتمانه سرّ الثورة رغم يقينه بحتمية الموت بدليل قوله: **كان سرا مغلقا لا يتكلّم، أنّه لا بدّ هالك**، وثالثها أنّ الجزائر ولادة للأبطال فهي **تلد الثائر في أعقاب الثائر**، ورابعها حقيقة أضمرها الخطاب الشعري وتمثّل في صعوبة قهر فرنسا للجزائر لأنّها تملك عدّة لا تُقهر؛ تملك أبطالا ثوّارا، وعزائما صلبة لن تلين ولن تخضع لأيّ قوّة مدمرة مهما كان جبروتها.

وعليه تطرح أبيات القصيدة تصورا لمشهد النضال المحتدم، وتؤكد على الإنعتاق بعد الموت والحرية والصمود والقداسة، إذ للمقاومة قداسة ترفع المقاوم والمناضل إلى مرتبة القديس، لاسيما إذا ما ظفر بالشهادة كما حدث مع بطل الثورة الجزائرية وأحد قادتها **العربي بن مهدي** الذي اعترف له جلاده بالبطولة والاستبسال.

بينما يُصعّد الشاعر **محمد راضي جعفر** من نبرة الخطاب كونه يصوّر بطلا طليقا يتحدى العدو صراحة في ميدان القتال في قصيدته **نسر الجزائر**⁶ إذ تصوّر أبياتها بطلا يتحدى العدو جهارا مفصحا عن مكان تواجده، مهّدّا متوعّدا متباها بعقيدته الصلبة وإيمانه الراسخ وعزمته التي تدفعه إلى المضيّ قدما نحو أماني النصر؛ فالعدوّ إذا لن يحارب شخصا مهزوزا خائرا، وإنّما يحارب شخصا قويّا بعقيدته

وإيمانه، بعزيمته وطموحه، ما يجعل نتائج المعركة محسومة منذ البداية، فالبطل يطمح إلى النصر أو الشهادة.

هكذا تغنى الشعراء العرب بثورة **الفتاح من نوفمبر** وأبطالها البواسل، مؤكدين تحديهم لقوات المستدمر الغاشم؛ فالبطل بطل سواء كان حراً أم أسيراً، صامدا بعزيمته، قويا بإيمانه محبا لوطنه متمسكا بحقه في تقرير مصيره: شجاع باسل، فالجزائر قوية بأبنائها شيوخا وصبية، رجالا ونساء كلّ يدلي بدلوه، مدركا مسؤوليته⁷

هكذا هم أبناء الجزائر في معركتهم ضدّ المستعمر تائر وثائرة لا أحد يدّخر جهدا يحقق النصر فضربوا للعالم مثالا في التحدي والتضامن، متشاركين في حب الوطن والكرامة، باذلين النفس والنفيس «ما يُسمح بالحصول على ما يطلق عليه بالموت الخيّر، بمعنى الموت الذي يحتفظ فيه الفرد حتى النهاية بجذوى جسده، هويته الذاتية، وعالمه الاجتماعي.. هكذا آمن الدين مصدرا قويا تقليدا للهوية الذاتية يُمكنُ للأفراد من مَوْضَعَةِ أنفسهم وأجسادهم ضمن بني فوق الشخصية»⁸ فالمصلحة ترتبط هنا بوطن وأمة بأكملها لا فرد أو فئة محدودة، ما يجعل الإقدام فرض والعطاء واجب.

3. المرأة الجزائرية الثورية

عطفنا على ما سبق ذكره، شاركت المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية رفقة شرائح المجتمع الشيوخ والأطفال لاسيما بعدما اشتدّ الخناق على شريحة الرجال، رافعة شعار الإرادة تصنع المعجزات والنفوس ترخص أمام واجب الوطن، مدركةً ضريبة هذا التحدي؛ فنالت بذلك الاحترام والفخر من قبل بني أمتها فكانت إحدى محاور شعرهم محملين إليها رسائل الفخر والإعتزاز.

ومن هذه القصائد نذكر على سبيل المثال قصيدة إلى الجزائرية المناضلة⁹:

ثُورِي عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ الْعَاصِبِينَ أَخْتَاهُ ثُورِي
وَتَحْمَي كَالنَّاقِمِينَ عَلَى فِرْنَسَا فِي الشُّعُورِ

يُصَدِّرُ الشاعر في مطلع أبياتها أفعال الأمر الشاحذة لِهَمَمِ المرأة الجزائرية بغية حثّها على المضْيِّ قدما والمشاركة في الحرب وتشجيعها ودعمها؛ باستحضار ذكر خولة بنت الأزور العربية الفارسة التي حرّرت أخيها ضرار من الأسر، وأبليت بلاء حسنا في المعركة ليذكر البطلة الجزائرية بصنيعها ويؤسّس لعطاء المرأة الثوري ويمنحه الإستمرارية عبر التاريخ في تناص أعطى التجربة الشعرية لمسة جمالية تربط الحاضر بالماضي.

كما يُظهر صالح الجعفري في قصيدته المعنونة فتيات الجزائر قوّة المناضلات وعزائمهن التي لا تقهر في وصفٍ جدير بالاهتمام:

أَرَيْتُهُنَّ كَأَنَّهِنَّ شُحْدَنَ مِنْ رُؤْرِ الْحَدِيدِ

أَوْ أَكَّهِنَّ بُعْثَنَ يَوْمَ الرُّوعِ خَلْقًا جَدِيدًا¹⁰

أوصاف غيّرت طبيعة الأنثى من اللين إلى الصلابة، فالأمر جَلَلٍ جعلهن يتركن كل ما تهتمّ به الأنثى في الأوقات العادية من حليّ وألبسة، وهي أدوات ظلّ الخطاب الشعري العربي لفترة طويلة يذكرها ويهتمّ بوصفها كلّ ما وصف الأنثى العربية ممّا أدى إلى: خروج الشعر العربي الحديث والمعاصر - في حديثه عن المرأة- عن النمطية المعبر بها عنها في الشعر العربي القديم.

فيجد قارئها نفسه أمام صورتين أساسيتين للمرأة الجزائرية: صورة المقاومة رمز النضال والتضحية، وأخرى بوصفها موضوعا جماليا إنسانيا؛ حيث جاءت الجزائرية صلبة قوية- بدليل ذكر زبر الحديد- وتتحدى بالشجاعة تجرّج أذيال الفخار، بدلا من تقديمها في الشعر العربي القديم على أنّها المرأة: المُتَعَنِّجَة واللينّة ذات الفتور والثني متحلية بالحلي والجواهر، متعطّرة، تجرّج أذيال الملابس.

في حين ينقل صالح جودت في قصيدة له بعنوان فدائية¹¹؛ حوارا جرى بينه وبين فتاة جزائرية

في سردية تنمّ عن الاهتمام بأدق التفاصيل:

لَقَيْتُهَا سَاعَةَ الْعَشِيِّ حَسَنَاءَ كَالزُّهْرَةِ النَّدِيِّ

شَبَابُهَا فِيهِ كِبَرِيَاءَ وَرُوحَهَا مِلُّهَا الْحَمِيَّة

يصوّر الشاعر فتاة حسناء لقيها - وهي تمشي على نهر السين بفرنسا- دون إستطراد في الوصف الحسي لجمالها، لأنّ بصره سرعان ما زاغ إلى: كبرياتها، وحميتّها، وشموخها، وقوّتها، ونظراتها الحادة وتحديدها، مشوّقا السامع والقارئ لمعرفة المزيد عنها.

فيذكر في ما تلى من الأبيات أوصافا جذبته جعلته يتساءل عن اسم وهوية هذه الفتاة التي حُبِكتْ أوصافها بهذا الشكل: فهي تحمل طموحا جعلها تنكر كل ما من شأنه إضعافها: أنكرت الصبا، وتجوّدت من الحلي؛ ولأنه مدرك أن المرأة لا تغفل عن الاهتمام بمظهرها وتزيين جسدها وتجميله بالحلي لمساهمتها في إضفاء الحسن والبهاء¹² يتعجب من سلوكها وإستمرارها في إنكار أشياء أخرى من شأنها تكبيل ذلك الطموح.

كما سجل الشاعر صالح جودت في القصيدة ذاتها إنكار الفتاة الحب إنكارا مبنيا على ما هو أهم من الأمر المنكر، لتفصح في الأخير عن هويتها: هي فدائية، لا تحاب الموت في أرض العدو، لا شيء يلهيها عن ثأرها، ما يؤكّد تلك الأوصاف التي أخبر عنها الشاعر في أوّل القصيدة فبثّها علامات دالة ومؤشرات تبرهن على أنّها فتاة تحمل قضية؛ ما أدى إلى تقلص أولويات الأنثى لديها: عدم المبالاة بتحسين المظهر، عزوفها عن الحب، وعدم إكترائها بما تقدّمه حضارة باريس من ترف وهو.

بهذا تتحوّل الفتاة العربية -في منطق القصيدة- عن قناعة من ليلي العاشقة أو المعشوقة إلى فدائية مناضلة ومكافحة تتعرّض مثل رفيقها الرجل للسجن والتعذيب والتنكيل والإستشهاد لتظل رمز النضال وإبداع النصر على مرّ السنوات، فتحفظ لها الذاكرة الشعرية هذا الصنيع رغم أنّها باتت لا تعرف مصيرها، إلا أنّها لم تستطع كتمان ذلك الإنبهار:

عَشْرُونَ عَامًا مَضَتْ وَرُوحِي	تَهْفُوا إِلَى هَذِهِ الصَّبِيَّةِ
عَشْرُونَ عَامًا، وَفِي خَيَالِي	مِنْ سِمَاتِهَا صُورَةٌ جَلِيَّةِ
أُسْأَلُ الْعَيْبَ أَيْنَ أُمَسْتُ	سِمَاتُهَا الْخُلُوءُ النَّقِيَّةِ

هَلْ بَقِيَتْ لِتَحْصُدَ الْأَمَانِي أَمْ لَقِيَتْ رَبَّهَا رَضِيَّةً؟

هكذا كانت رؤية الشاعر **صالح جودة** لهاته الفتاة، لقاء وهلة: بدأت وانتهت؛ دون أن يكون هناك أمل للقاء آخر، لتعرب هذه اللحظة عن المصير المجهول، كون إنشغال الفدائية برحلة كفاح لا يُعرف لها محطة للوصول، أو ربما الشاعر من كان يجهل ذلك.

لكنها لحظة تأسيس وتأريخ لصناعة الحدث الأعظم، وإثبات بأن المرأة لا تصلح فقط لإدارة المنزل وتربية الأبناء، واستقبال الضيوف وتسمية الأولاد¹³ بل يمكنها فعل أكثر من ذلك حتى المشاركة في الجهاد، بل بمقدرتها نقل المعركة إلى أرض العدو في صورة شعرية اتحدت فيها الحقائق التاريخية مع اللمسات الفنية التي يفرضها قانون الشعرية العربية .

غير أنّ هناك من الشعراء أمثال **أيوب صبري عباس** في قصيدة **جميلة**¹⁴ يفضل احتفاظ المرأة الجزائرية بأنوثتها رغم حقدتها على العدو وسعيها للنيل منه، معربا عن مزاجية المرأة بين الواجبين واجب الأسرة والوطن:

كَفِّي الرِّقِيقَةَ كَفُّ وَالِدَةٍ بِهَا رَأْمٌ وَسَعْدٌ
لَكِنَّهَا أَبَدًا عَلَى الْأَعْدَاءِ صَاعِقَةٌ وَرَعْدًا
الْمَوْتُ حَتْمٌ لَا يُرَدُّ وَإِنَّ عَزْمِي لَا يُرَدُّ
لَكِنِّي إِنْسَانَةٌ أَبَدًا وَعَاطِفَةٌ وَوَدُّ
إِنِّي أَنَا بِنْتُ الْجَزَائِرِ، وَالْعُرُوبَةُ لِي تُمَدُّ

فالكف الرقيق، الأمومة، إنسانيتها، العاطفة والود؛ كلّها صفات لم تمنع المرأة الجزائرية من تأدية واجبها الوطني وبالتالي معاداة العدو، ومجابهته وتحديه، بعزيمة لا تقهر ويقين لا يثنيه شيء لذا حديث الشاعر في هذه القصيدة كان عن كل حواء إستجابات لنداء الواجب فاستهزأت بالموت بل عشقته كونه السبيل الوحيد إلى المعالي ف:

رَبَّةَ الْخِذْرِ وَالِدَلَالِ اسْتَحَالَتْ ثَوْرَةً فِي كِفَاحِهَا وَالنِّزَالِ

فَهِيَ أَرْسَى مِنَ الرُّبَى وَالْجِبَالِ وَهِيَ ذَاتُ الْحِجَى وَذَاتُ الْجَمَالِ

هكذا ساهمت الثورة الجزائرية في خلق إنسانة جديدة، سماتها الصمود، الشهامة والشجاعة فحوّلت المرأة الجزائرية من مجرد كونها: حواء، ربة الخدر، الدلال، ذات الحجى، ذات الجمال تحتاج من يحميها إلى رفيقة نضال وكفاح، تشارك الرجل في أرض المعركة جنباً إلى جنب، تسند وتؤازر، لتصبح رغم احتفاظها بصفاتها السابقة - التي قد تنمّ عن الضعف - أرسى من الجبال والربى، فحظيت باهتمام الإبداع داخل الوطن وخارجه واحترام الأشقاء بما فيهم المبدعين.

لكن في مقابل هذا الإحترام إزداد إحتراس العدو فشدد الرقابة، وبعث عيونَه لتقصي الأخبار ما أدى إلى إستشهاد وتعذيب وسجن الكثرات من أمثالهن: الشهيدة حسيبة بن بوعلي وجميلة بوحيرد التي أسالت قضيتها حبر الإعلام وأثارت الرأي العام داخل الوطن وخارجه، كما كانت مفجرة لقرائح الشعراء من أمثال: نزار قباني في قصيدة جميلة بوحيرد، وبدر شاكر السياب في قصيدته إلى جميلة بوحيرد، والفيتوري في رسالة إلى جميلة التي يبدوها بتحية يوجهها إليها ثم ينتقل إلى وصف لمعانها في السجن فيجعل منها رمزا للحرية في إفريقيا والعالم العربي ويختتمها بذكر أمل النصر، وطبعا أمثلة ذلك كثيرة سيقف عليها المقال من حين لآخر إستظهارا وبيانا لمواكبة الشاعر العربي ودعمه لتلك المؤازرة.

كما غنت أكبر المطربات قصائد تحدثت عن مآثرها الثورية أمثال: فيروز ووردة الجزائرية مما ساهم في إنتشار اسم جميلة وتحويل صاحبتها إلى قدوة تفخر بها كل عربية وتعتز .

الاسمُ جَمِيلَة بوحيرد

تاريخُ تَرْوِيهِ بِأَدْي

يَحْفَظُهُ بَعْدِي أَوْلَادِي

مِنْ جَيْشِ فِرْنَسَا المَعْلُوبَةِ

إِنْتَصِرُوا الآنَ عَلَى أَنْتَى¹⁵

4. إنجاز المرأة الجزائرية على مستوى القصيدة

هكذا كان للإبداع الشعري لمسته في جعل جميلة بوحيرد رمزا لكفاح المرأة الجزائرية الصلبة ذات الإرادة القويّة، التي لم تستطع فرنسا بجيشها القويّ ووسائل تعذيبه القاسية النيل من عزيمتها فاحتلت حيّزا كبيرا في الشعر العراقي الذي قيل إبان الثورة الجزائرية، فأكثر من ثلاثين قصيدة وُسمت بعنوان جميلة من قصائد الموسوعة الشعرية - التي ضمت قصائد الشعراء العراقيين المتغنية بالثورة الجزائرية ومآثر أبطالها والتي ضمت موضوعات كثيرة يمكن حصرها في هاته المحاور: قوّة الثورة وصلابتها وصف بطولات الثوّار، أمجاد جيش التحرير الوطني ومعاركه، ثورة الجزائر كامل العروبة ومثال للكفاح الإنساني، جميلة بوحيرد ونضال المرأة الجزائرية، فرحة الإعلان عن الإستقلال - المنتفاة لإعداد هذه المقال. كما حملت قصائد كثيرة الإسم نفسه لشعراء سوريين ومصريين، عاملة على تكريم رمز كفاح المرأة الجزائرية وتخليد ذكرها والتغني بمآثرها، لأنّها إستطاعت بإرادتها قهر أقوى الدول المستعمرة معبرين عن معاناة هذه المجاهدة البطلة وهي تحت رحمة السجّان الذي لا يعرف رأفة، مبدّين أسفهم معبرين عن خجلهم:

هُمْ حَمَلُوهَا جِرَاحَ السَّكَائِينِ فِي سُوءِ نِيَّةٍ
-وَنَحْنُ نَحْمِلُهَا- فِي إِبْتِسَامٍ وَحُسْنِ نِيَّةٍ
جِرَاحُ الْمَعَانِي الْغِلَاطِ الْجُهُولَةِ
فَيَا لَجِرَاحِ تَعَمَّقُ فِيهَا ثُبُوبُ فِرْنَسَا
وَجُرْحُ الْقَرَابَةِ أَعَمَّقُ مِنْ كُلِّ جُرْحٍ وَأَقْسَى
فَوَاحَجَلَتْنَا مِنْ جِرَاحِ جَمِيلَةٍ¹⁶

وإن كان الحديث عن جميلة بوحيرد فإنّ جميلات الجزائر كثيرات: جميلة بوباشا، وجميلة بوعزة وغيرهما حتى اللواتي لم يسمون بإسم جميلة؛ فهو إسم ارتبط بالمرأة الجزائرية المكافحة كما ارتبط - في الثقافة العربية - إسم ليلى بكل عاشقة ومعشوقة .

هكذا استطاعت المرأة الجزائرية تحقيق أول انتصار لها؛ قبل معابنتها نصر الإستقلال في الخامس من جويلية 1962 حين استطاعت تغيير رؤية الخطاب الشعري العربي للمرأة العربية حيث تخلّصت من فكرة تناول المرأة بوصفها جسدا أنثويا جميلا لا يعرف إلا الغنج والدلال، والتمنّع تارة والإنصياع أخرى... فكرة جعلت صورة الأنثى تمثالا ينحته الشاعر نحتا ليرتأى تارة أمام السامعين ويختفي أخرى.

وهي الصورة النمطية التي ظلت عرفا يتوارثه الشاعر عن أجداده الشعراء بدءاً من شعراء الفترة الجاهلية ووصولاً إلى شعراء النهضة العربية حيث عاشت الأنثى حسب ما رآه جعفر يايوش - في كتابه الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل - في ظلّ ممارسات متناقضة، ينظر إليها المجتمع بنظرة تناقضية حادة إذ هي المرغوب المرهوب غير المرضي عنه اجتماعياً.

إنجاز حقيقته المرأة الجزائرية - عن وعي أو دون وعي - حين حوّلت مسار أقلام الشعراء العرب وقرائحهم بل حتى نظرهم من أن المرأة لا تصلح إلا لأن تكون معشوقة من قبل الرجل - وأمثلة ذلك كثيرة في الشعر العربي القديم نأخذ على سبيل المثال قول الأعشى مصوراً تعلقه بمريرة هاته الأنثى التي حُبكت صور جمالها حبكا في معلقته ودّع هُرَيْرَة. وكذا امرئ القيس وطرفة وعنزة بن شداد وغيرهم - إلى العطاءات الثورية للمرأة العربية وإنجازاتها الباسلة التي جعلتها عوناً وسندا للرجل.

فتشاركاً معاً في صنع حلم الإستقلال الذي أصبح حقيقة بعد سنوات من الجهاد، اتحاد قهر جيش فرنسا وأدانه دولياً لإنتهاكاته غير شرعية ما جعله يفقد شرعيته في أعين العالم بأسره، فكان الإستقلال صنيع تضافر جهود شرائح المجتمع ككل شيبا وشباناً رجال ونساء وصبية.

إنجاز جعل الشعراء الذين تغنوا بعطاءات المرأة الثورية يقلّبون صفحات التاريخ من أجل الكشف عن نساء ذكّرن الأحداث التاريخية وعُرفن ببسالتهم إلا أنّ الإبداع سكّنت عن ذكّرن ردحا من الزمن، فترأت لهم خولة بنت الأزور التي جاء الوقت الذي تُستحضر فيه ضمن قصيدة شفيق

الكمالي، الموسومة جميلة¹⁷:

هِيَ لَنْ تَمُوتَ..... فَخَوْلَةٌ

لَمَّا تَزَلْ

رَغَمَ الرَّدَى..... نَجْمَةٌ

تُلُوحٌ فِي الْعَتَمَةِ

يَأْقُوتَةُ حَضْرَاءَ بَسَامَةٍ

فَجَدَّتَنِي تَحْكِي لَنَا عَنْهَا

ها هي خولة بنت الأزور تُسْتَحْضَرُ في الإبداع الشعري لا لكي تبقى مجرد بطلة يروي التاريخ أخبارها وتتناقل صنيعها حكايات الجدّات، وإنما لتُبْعَثَ من جديد في شخص جميلة بوحيرد لتكونا بطلتا الخطاب الشعري:

لَكِنَّ جَدَّتَنِي لَا تَسْمَعُ الْأَخْبَارَ

لَمْ تَذَرِ أَنَّ خَوْلَةَ

عَادَتْ إِلَى الْوُجُودِ

لَكِنَّ يَدْعُونَهَا جَمِيلَةَ

عطاءات جميلة بوحيرد تشبه عطاءات خولة بنت الأزور إلا أنّهما تختلفان في الهدف؛ فالثانية حاربت من أجل تحرير أخيها الأسير وحققت ذلك دون أن ينال منها العدو، بينما الأولى تناضل من أجل حرية شعب بأكمله، تناضل لأنّها متمسّكة بهويتها العربية، رافضة أن تكون فرنسية؛ غير أنّها وقعت أسيرة في يد العدو فجرّعها ويلات السجن والتعذيب، لكن دون أن ينال من إرادتها ويحبط عزيمتها . هكذا لم يعد قول الشعر العربي الحديث حكرا عن الحبيبة بل أصبح كذا قولاً في المرأة الثورية المجاهدة الصنديدة، التي كانت فخرا للأهل والوطن وكذا العروبة، ما جعل القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة تجمع بين الأنثى والمرأة بخيط رفيع دون أدنى خلل بين المصطلحين؛ فإنّ كان الاحتفاء بالأولى منبعه المحبة فإنّ الاحتفاء بالثانية مصدره الفخر والاعتزاز.

لتجسّد بذلك المرأة الجزائرية شعرا دور الأم رمز التضحية، والمناضلة رمز الفداء، أما الأرض والوطن فسجدته الجزائر نفسها في صيغة أنثوية.

5. خاتمة:

ختاما لا يسع المقال إلا حوصلت ما أمكنه الوصول إليه؛ ضمن بحث حاول معاينة ما جادت به قرائح الشعراء العرب حول امرأة ساهمت مثلها مثل الرجل في تحرير بلادها، ضمن كفاح لم يعرف المهادنة ولا المساومة رغم طول مدّة الاحتلال التي قاربت القرن والنصف -من سنة 1830 إلى 1962- عاشها الجزائري بين إبادة وتجويع وتقتيل وتعذيب وتهجير وسلب للممتلكات وقمع للحريات؛ ما جعل تظافر الجهود حتمية لا بد منها، وتغيير النهج ضرورة ملّحة، بخطوات ثابتة تدرك أنّ ما أخذ بالقوة لا يستردّ إلا بالقوة، وعليه سجّل البحث بذلك تداخل الأدب والتاريخ والهوية في أهم نتائج تُخصى كما يلي:

1. تسجيل الشعر العربي الحديث مرافقته للثورة الجزائرية ومباركته لها، ومساندته لأبطالها.
2. بثّ الشعراء العرب رسائل الفخر والإعتزاز لأبطال الثورة عبر قصائد ألهمت المشاعر، وشحذت الهمم ما أدى إلى متابعة المجتمعات العربية لما يحدث في أرض الجزائر الشقيقة.
3. سجّلت المرأة الجزائرية مُساندتها لمختلف شرائح مجتمعها في معركة التحرير؛ ما جعلها تُستدعى في قوالب شعرية تنوّعت شكلا ومضمونا.
4. استدعاء المرأة الجزائرية الثورية في القصائد المخدّدة لتضحياتها جعلها تستحضر: مجاهدة وفدائية سجيّة وشهيدة.
5. حقّقت المرأة الجزائرية الثورية الفخر والإعتزاز على المستويين التاريخي والأدبي؛ فحفظت لها الذاكرتين الصنيعة كل حسب طبيعته ولمسته.
6. مُنجزها التاريخي أدّى إلى إستحضارها على مستوى القصيدة العربية الحديثة في شكل مختلف عمّا تمّ التعارف عليه في صورة نمطية إعتاد القارئ عليها خلال حِقَب أدبية تعاقبت .

7. دفعت المرأة الجزائرية بالشاعر العربي للعودة إلى التاريخ وتقليب صفحاته بحثا عن عريبات ثابرن وحملنا السلاح في وجه العدو أمثال خولة بنت الأزور.

8. تحطيم المرأة الجزائرية الثورية نمطية إستحضار المرأة العربية في القصائد بوصفها معشوقة مدللة، إلى مناضلة قوية متحدية مصرة على الضفر بالنصر.. الخ.

9. المرأة الجزائرية في المنجز الشعري العربي الحديث رمز وطني؛ دفع الشعراء العرب إلى جعلها أيقونة للتحرر من الإحتلال المدمر، ما جعلها تجربة شعرية إنسانية وقومية في آن واحد.

10. حضور المرأة الجزائرية في الشعر العربي الحديث جمع بين الرمزيتين: السياسية والجمالية، مرجحا الأولى على حساب الثانية فإنشقّ بذلك عن المسار الشعري التقليدي المتعارف عليه في الساحة الأدبية.

نتائج تستدعي الباحثين والدارسين إلى البحث في الكيفية التي قُدمت بها المرأة الجزائرية المناضلة في الأعمال الأدبية على تنوع أجناسها مسرحا وقصة ورواية وملحمة، وأسطورة..، والدعوة إلى تنظيم تظاهرات علمية تحمل على عاتقها هاته الإشكالية، ضمن شعار: المرأة الجزائرية الثورية وفاء وقدوة ومسيرة عطاء.

6. قائمة المراجع:

1. جعفر يايوش ، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، د.ط، (الجزائر: المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، د.ت)
- 2- حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ط.1، (القاهرة(مصر): الدار المصرية اللبنانية، 2005).
- 3- عبد المنعم جبيري، المرأة عبر التاريخ البشري، ط.2، (دمشق (سوريا): دار صفحات للدراسات والنشر، 2009)
- 4- عبد الوهاب البياتي، ديوان الموت في الحياة، (بيروت (لبنان): دار العودة ، 1971).
- 5- محمد بشير بويجرة، التاريخ، الرواية فضا الرشح وغواية الإنشاء (معاينة لمكانن التأنيث السرد في الرواية الجزائرية، د.ط، (وهران (الجزائر): دار القدس العربي، 2018)

- 6- نازك الملائكة، ديوانها، ط.2، (بيروت(لبنان): دار العودة، 1979)
- 7- نزار قباني، المجموعة الشعرية الكاملة، ط.17، (بيروت(لبنان): منشورات قباني، 2007).
- 8- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، د.ط.، (بغداد (العراق): المكتبة الوطنية (دار الحرية للطباعة) 1981).
- 9- خلود السباعي، الجسد الأنثوي وهوية الجندر، ط.1، (بيروت(لبنان): جداول للنشر والتوزيع، 2011).
- 10- كرس شلنح، (2009)، الجسد والنظرية الاجتماعية، ط.1، تر. منى البحر ونجيب الحصادي، (أبو ظبي (الإمارات المتحدة): دار العين للنشر 2009)

- 1 - محمد بشير بويجزة، التاريخ، الرواية فضا الرشح وغواية الإنشاء (معاناة لمكانن التأثيث السرد في الرواية الجزائرية)، د.ط، دار القدس العربي، وهران (الجزائر)، 2018، ص.03
- 2 - ينظر عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، د.ط، المكتبة الوطنية (دار الحرية للطباعة)، بغداد (العراق)، 1981، ص.13.
- 3 - هادي كمال الدين، نقلا عن عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص.80
- 4 - ينظر عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص.13
- 5 - ينظر عبد الوهاب البياتي، قصيدة الموت في الظهيرة ديوان الموت في الحياة، دار العودة، بيروت (لبنان)، 1971، ص.45
- 6 - ينظر محمد راضي جعفر، قصيدة نسور الجزائر، المصدر السابق، ص.86
- 7- ينظر قصيدة ملحمة الجزائر ،صاحبها الربيع الغزالي ألقبت في ندوة (الشعراء في معركة الجزائر) مساء الخميس 28 نوفمبر 1957 ونشرت بمجلة صوت العرب أول ديسمبر 1957، نقلا عن حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة (مصر)، 2005 ص. 72
- 8 - كرس شلنح، الجسد والنظرية الاجتماعية، ط.1، تر. منى البحر ونجيب الحصادي، دار العين للنشر، أبو ظبي (الإمارات المتحدة)، 2009، ص.235
- 9 - ينظر قصيدة إلى الجزائرية المناضلة، نقلا عن عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص.254
- 10 - صالح الجعفري، قصيدة فتيات الجزائر ، نقلا عن حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ص.(108، 109).
- 11 - صالح جودت، قصيدة فدائية ، نقلا عن حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ص.(108، 109).
- 12 - ينظر خلود السباعي، الجسد الأنثوي وهوية الجندر، ط.1، بيروت(لبنان): جداول للنشر والتوزيع، 2011، ص.79
- 13 - ينظر عبد المنعم جبري، المرأة عبر التاريخ البشري، ط.2، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق (سوريا)، 2009، ص.(213، 215)
- 14 - أيوب صبري عباس، قصيدة جميلة، نقلا عن عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص.138، 132.
- 15 - نزار قباني، المجموعة الشعرية الكاملة، ط.17، منشورات قباني، بيروت(لبنان)، 2007، ص.214.
- 16 - نازك الملائكة، ديوانها، ط.2، دار العودة، بيروت(لبنان)، 1979، ص.505.
- 17 - شفيق الكمالي، قصيدة جميلة، نقلا عن عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص.132